النجف الأشرف

السنة السادسة عشرة - العدد ١٧٢ - شهر محرم الحرام ١٤٤١ - أيلول ٢٠١٩

مجالس عاشوراء

رحلة الزمان والمكان

لوحة من القرن التاسع عشر محفوظة في تشستر إيرلندا
تمثل مجالس العزاء في الهند

16th Year Issue No:172-2019

النجف الأشرف

العدد (١٧٢)
شهر محرم الحرام ١٤٤١هـ

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

رحلة ثقافية في ستين صفحة..

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

6 عاشوراء

لوحات تاريخية مميزة أبدعتها أنامل الفنانين وهم يصورون مراسيم شهر محرم الحرام خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي، قلما اطلع عليها الشيعة في عصرنا هذا، رحلة مثيرة في رحاب مواكب عاشوراء قبل أكثر من مائتي عام.

11 حكماء

حارب السفسطائيين، ودافع عن الحقيقة المطلقة بدلاً من الشك الذي بثه هؤلاء، وكرس حياته لافشاء القيم والمبادئ والدعوة إلى اله واحد حتى حكم عليه اليونانيون بالاعدام، سقراط أب الفلسفة.

32 آلة الزمن

فيما حاولت بعض المذاهب الاسلامية فرض عقيدتها بقوة السيف، دأبت الشيعة على نشر عقيدتها بأساليب فكرية أو بممارسات اجتماعية، تمثلت بالشعائر، ولذا حوربت على مر التاريخ بشكل عنيف. اتسم بالقتل أو بهدم المزارات أو بحرق بيوتات العلماء في فتن مظلمة أبان القرن الرابع الهجري.

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

أبواب العدد:

- رمزيات
- أنساق معرفية
- حكماء
- قصة قصيرة
- حديث الصورة
- آلة الزمن
- بانوراما
- فولكلور
- قراءة في كتاب
- واحة الدين

رئيس مجلس الإدارة

السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير

ليث الموسوي

مدير التحرير

غيث شُبّر

المحررون والكتاب

عدنان الياسري — أ.د. صادق المخزومي
باسم الساعدي — سليم الجبوري
تحسين عمارة — موفق هاشم
حسن الجوادي

الإخراج الفني

مقدادغرافيك - سوسن المقداد - بيروت

مجلة النجف الاشرف

Website:
www.alnajafalashraf.net

www.alnajafalashraf.org

E.mail:
najafmag@gmail.com

P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد
النجف الأشرف - نهاية شارع الرسول(ص)

رحلة الزمان والمكان

معركــة الطف مثلت نقطة فارقــة في مسلسل صراع الخير والشر، فانتشر صداها عنــد الأخيار في كل أصقاع المعمــورة وامتــد زمن إحيائهــا بشكل سرمدي، وقــد اخترنا لكم لقطات جميلــة ابدعتها ريشــة الفنانين، صورت مواكب العزاء الحسيني والمجالس الحسينية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فمشاهدة ممتعة.

لوحة للفنان ميلفل فيشر تمثل مواكب العزاء الحسيني في الهند سنة ١٨٤٠م.

"Festival of the Moharram, Funeral of Hussein and Hussein, India," by H. Melville, 1840.

أحيى القلوب، وسقى حدقات
العيون فاضحت مواكبه
ومجالسه علامة اجتماعية
متميزة، جسّدت صراع الخير
والشر عند بني البشر.

لوحة تمثل مجلس عزاء حسيني في مدينة أمامبارا في الهند- عام ١٨٢٠م.

"Prayers and recitations at the Imambara during the Muharram", Patna, 1820.

لوحة مائية لمواكب العزاء في شهر محرم في المناطق الانجلو هندية في القرن التاسع عشر.

Muharram festival procession. Anglo-Indian at Patna, c. mid-19th century.

لوحة مائية لمجلس عزاء ليلي في شهر محرم والاستماع للخطيب عام ١٧٠٠م. محفوظة في مكتبة الكتب المقدسة بريطانيا.

"The Muharram Festival", 1700.

رسـمة إيرانيـة مـن القرن التاسـع عشر تمثل واقعة الطف في كربلاء.

Battle of Karbala, Iranian painting, oil on canvas, 19th century.

لوحـة للفنـان الهنـدي سـواك رام محفوظة في متحف (فيكتوريا أند البرت) تمثـل مواكب العزاء الحسـيني في مدينة باتنا- الهند.

Sewak Ram, "A Muharram Scene", Patna, India c1807. One of the few paintings with an attribution.

لوحة مائية محفوظـة في المكتبة البريطانية، تمثل مجالس العزاء الحسيني اثناء محرم الحرام في مدينة امامبارا - الهند.

«Scene in the Imambarah during Muharram», a watercolor painting c.1790-1800. Found in the British Library.

عاشوراء

لوحة فنية للفنان فاوستو زونارو؛ مواكب التطبير لتخليد ذكرى وفاة الإمام الحسين بن علي في العاشر من محرم، سنة ١٩٠٩م محفوظة في سوثبايز.

"A ceremony commemorating the death of Imam Husayn ibn Ali" by Fausto Zonaro.

لوحة محفوظة في دبلن- مكتبة تشيستر بيتي تمثل تفجع المسلمين الشيعة قبل التعزية في لكناو - الهند سنة ١٨٠٠م.

"Shi'a Muslims Mourning Before a Ta'ziya", c. 1800, Lucknow.

عاشـوراء

لوحــة مائية نسبت إلى شيفا لال أو ورشة العمل الخاصة به، في نصف القرن التاسع عشر، محفوظة في باتنا. تمثل مراسم شهر محرم الحرام.

Muharram festival procession. Anglo-Indian "Company School" at Patna, c. mid-19th century. An opaque watercolour on mica attributed to Shiva Lal or his workshop.

لوحة مائية رسمت من قبل فنان مجهول في سنة ١٧٩٥م محفوظة في برلين تمثل مراسم شهر محرم الحرام ، وهي جزء من مجموعة هايد.

Watercolour of the Muharram Festival, part of the Hyde collection, by an unknown artist working in the Murshidabad style, c. 1795. Inscribed on the back in pencil: 'The Nubob of Moorshedd at Prayers'; in ink: 'The Nawaub of Morshedabad at Prayers, a Night Scene.

تاريخ مراسيم عاشوراء

معركة دموية خانقة مرت بها الشيعة على مر التاريخ ولكنها ظلت خالدة

بقلم: باسم الساعدي

ارتبـط اسم الشيعة والتشيع بالمظلومية ومحاربـة الطغاة لهم، فلم يمر جيل إلا وتعرض فيـه الشيعة لألوان الاضطهاد، كل ذلك حتى تسلب هويتهم عنهم، الهوية التي استمدوها مـن آل البيـت صلـوات اللّه عليهم، فكانـت الحرب على منعهـم من اثبـات شعائرهم، فبعد استشهـاد الإمام الحسين صلوات اللّه عليه صار هـمُّ الشيعة تخليد ذكرى مصيبة ما جرى في يـوم عاشوراء سنـة ٦١ للهجرة، لا لأنهم ـ كما يتصور بعضهم ـ قد قصروا بنصرته أو لأن أجدادهـم من قتلـه فهم يجلدون ذاتهم باحيـاء ذكر فاجعة استشهادة فـإن هذا الرأي خال عـن التأمل بحال من يحي مجالس ذكر الإمام الحسين صلوات اللّه عليه، وليس هنا محل بيان حـال مقيمـي العـزاء الحسينـي.

كانت ـ وما زالت ـ الشعائر الحسينية أقوى أداة لنشر مظلومية آل البيت صلوات الله عليهم وكشف زيف مغتصبي حقهم، وهي أقصر طريق لنشر التشيع، يقول الدكتور الفرنسي جوزيف وهو يتكلم عن التقية عند الشيعة وقوة مذهبهم: «وأقاموا المآتم تحت الستار يبكون فيها على الحسين فأثرت هذه المآتم في قلوب هذه الطائفة إلى حد أنه لم يمر عليها زمن كثير حتى بلغت الأوج في الترقي، ودخل في هذه الطائفة بعض الوزراء وكثير من الملوك والخلفاء، فبعضهم أخفى ذلك تقية، وبعضهم أظهره جهرًا» ثم يقول: «لا يمر قرن أو قرنان حتى يكون الشيعة أكثر عددًا من غيرهم»، ويعلل ذلك بحرص الشيعة على إقامة المجالس الحسينة فيقول: «اليوم لا يوجد نقطة من نقاط العالم يكون فيها شخصان من الشيعة إلا ويقيمان فيها المآتم، ويبذلان المال والطعام. رأيت في بندر [أي ميناء] (مارسل) في الفندق شخصًا واحدًا عربيًا شيعيًا من أهل البحرين يقيم المأتم منفردًا جالسًا على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعد مائدة من الطعام ففرقها على الفقراء... كل واحد من هذه الفرقة بلا استثناء سائر في طريق الدعوة إلى مذهبه، وهذه النكتة مستورة عن جميع المسلمين حتى الشيعة أنفسهم، فإنهم لا يتصورون هذه الفائدة من عملهم هذا، بل قصدهم الثواب الأخروي» إلى أن يقول: «إن العدد الكثير الذي يرى اليوم في بلاد الهند من الشيعة هو من تأثير إقامة هذه المآتم، فرقة الشيعة

كانت نقطة القوة عند الشيعة تكمن في المراسم الحسينية مما جعل أعداءهم يصبّون جام غضبهم عليها.

حتى في زمان السلاطين الصفوية لم تسع في ترقي مذهبها بقوة السيف، بل ترقت هذا الترقي المحير للعقول بقوة الكلام الذي هو أشد تأثيرًا من السيف، ترقت اليوم هذه الفرقة في إداء مراسمها المذهبية بدرجة جعلت ثلثي المسلمين يتبعونها في حركاتها، جم غفير من الهنود والفرس وسائر المذاهب أيضًا شاركوهم في أعمالهم»[1]، ويرى الدكتور علي الوردي أن كل منطقة تقام فيها الشعائر الحسينية ويتأثر بها أهلها فأنها تسير نحو التشيع[2]، لذا عمد أعداء التشيع لمحاربتها ومنعها مرة بقوة السلاح، وأخرى باثارة الشبهات حولها، وقد تأثر بعض الشيعة ممن «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ»، وسنتعرض في هذا الموضوع لما مر على الشعائر الحسينة من حرب ومنع عبر التاريخ.

في الزمن الأموي

كان العصر الأموي عصر عداء ظاهر لأمير المؤمنين صلوات الله عليه، وكانت عقوبة من يذكر فضيلة من فضائله، القتل وتهديم الدار ومصادرة الأموال وقطع الرزق عن أهل بيت الذاكر للفضيلة، فقد أمر معاوية بن أبي سفيان بمنع رواية فضائل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتقتيل شيعته، قال المدائني في كتاب الأحداث: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئًا من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي(ع)، فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم»[3]، من وقد سار خلفائه على سنته، وفي بعض سني الدولة الأموية رثا شاعرًا الإمام الحسين(ع) بقصيدة منها:

تجاوبت الدنيا عليك مأتما

نواعيك فيها للقيامة تهتف

فكان عقابه أن عذب حتى الموت[4] فلم يستطع الشيعة ـ والحال هذه ـ

١ـ هامش رقم ١ من صفحة ٨٧ من كتاب المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة.
٢ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث٣: ٩٠.
٣ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤.
٤ـ تاريخ النياحة على الإمام الشهيد عليه السلام١: ١٠٩.

المجاهـرة بشعائرهـم بصـورة عامـة والشعائر الحسينيـة خاصة، بل اشتملوا شملة الجنين، وقعدوا حجرة الظنين[٥].

في الزمن العباسي

لم يكـن الشيعة في العصـر العباسي بأحسـن حال من الأمـوي، فإن الدولة العباسيـة سـارت علـى نهـج عدوتها الأموية، حتى قال الشاعر علي بن أحمد بن منصور المعروف بالبسامي سنة هدم ضريح الإمـام الحسين صلوات الله عليه بأمر المتوكل العباسي ومنع الزيارة:

تالله إِن كانت أمية قد أتت
قتيل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله
هذا لعمرك قبره مهدوما
أسِفوا على أن لا يكونوا شاركوا
في قتله فتتبعوه رميما[٦]

نعـم في بدايـة دولتهـم، وفي زمن السفـاح، سمحوا بزيارة الإمام الحسين صلـوات الله عليـه، وحصـل الشيعـة علـى بعض الفسحـة في شعائرهـم، لكن سرعان ما جـاء المنصور الدوانيقي وأعلن الحرب علـى الشيعة وشعائرهم حتـى أنه هـدم الضريـح الحسيني ومنع زيارته، ووفي زمـن المهدي ـ الذي جاء بعـد المنصور ـ أعـاد الشيعة بنـاء سقيفة على القبر الحسيني الشريف، وقد سمح للشيعـة بالزيـارة ورثاء الإمـام الشهيد صلوات الله عليه، غير أن خليفته هارون العباس جـاءت أيامه بلاء علـى الشيعة

٥ـ مأخـوذ عـن كلام السيدة الزهـراء صلوات الله عليها وهي تعاتب أمـير المؤمنين صلوات الله عليه، انظر مناقب آل أبي طالب ٢: ٥٠.
٦ـ المختصر في تاريخ البشر ٢: ٦٨.

فقد منع الزيارة وهدم السقيفة وحارب المجالس حتى المقامة في دور الشيعة، وقد وصل الحد به إلى كرب قبور الطف في كربلاء وقطع شجرة السدر[٧]، قال «يحيى بن المغيرة الرازي، قال: كنت عند جرير ابن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين(ع) وأمر أن تقطع السدرة التي فيه فقطعت، قال: فرفع جرير يديه، فقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله(ص) أنه قال: لعن الله قاطع السدرة، ثلاثا، فلم نقف على معناه حتى الآن، لأن القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين(ع) حتى لا يقف الناس على قبره»[٨]، وهكذا الشيعة في مد وجزر، غير أن أيام رخائهم قليلة ومقتصر على الأقل الممكن، حتى جاء زمن المتوكل العباسي الذي هدم القبر الشريف أربع مرات كانت أولها سنة ٢٣٣، وآخرها سنة ٢٤٧، وكان الشيعة يبنونه بعد كل تهديم[٩]، وفي سنة ٢٣٦ أو ٢٣٧ فأمر ديزج اليهودي ـ وهو أحد قادة جندة ـ[١٠] مع جيش كبير أن يمنع زيارة الإمام الحسين صلوات الله عليه وأن يخرب القبر الشريف «فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهرا أن مسيره إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصر، فمضى الأمر على ذلك حتى كانت ٢٤٧، فبلغ المتوكل أيضًا مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين(ع)، وأنه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائدًا في جمع كثير من الجند، وأمر مناديًا ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين، ونبش القبر وحرث أرضه»[١١]، وقد امتنع الجيش عن هدم القبر الشريف، فباشر قائد الجيش بنفسه معه جمع من اليهود قد اصطحبهم معه من أجل الهدم[١٢]، وقد حاول اغراق القبر الشريفة في الماء وقد حار حول ضريح الإمام الحسين صلوات الله عليه[١٣]، بل «ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحدا زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة»[١٤]، نعم تنفس الشيعة الصعداء ـ نسبيًا ـ في أوخر أيام الدولة العباسية، لكنهم لم يجاهروا بشعائرهم أجمع لأن الثقافة العامة كانت ضدهم، فلا يستطيع أي شيعي اقامة المجالس الحسينة إلا إذا كان صاحب نفوذ عن السلطة خوفًا من الحنابلة، قال القاضي التنوخي: «كان الناس لا يستطيعون النياحة على الحسين(ع) خوفًا من الحنابلة قال أبي، وابن عيّاش: كانت ببغداد، نائحة مجيدة حاذقة، تعرف بخلب، تنوح بهذه القصيدة:

[أيها العينان فيضا

واستهلا لا تغيضا

وابكيا بالطف ميتا

ترك الصدر رضيضا

لم امرضه قتيلا

لا ولا كان مريضا][١٥]

فسمعناها في دور بعض الرؤساء، لأنّ الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان، أو سرًا، لأجل الحنابلة، ولم يكن النوح إلا مراثي الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط، من غير تعريض بالسلف، قالا: فبلغنا أنّ البربهاري [وهو الحسن بن علي بن خلف، كان رئيس الحنابلة] قال: بلغني أن نائحة يقال لها: خلب، تنوح، اطلبوها فاقتلوها»[١٦].

في العصر البويهي

فتح معز الدولة البويهي بغداد سنة ٣٣٤، فصارت الشيعة تجاهر بشعائرها، والمآذن تصدح بحي على خير العمل، واعلن سنة ٣٥٢ يوم ١٨ ذي الحجة أي يوم الغدير يوم فرح وسرور، ويوم عاشوراء يوم حزن وحداد[١٧]، فثارت ثائرة الحنابلة ومن معهم واعلنوا الحرب على الشيعة

٧ـ تاريخ النياحة على الإمام الشهيد عليه السلام٢: ٦.
٨ـ الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٢٥.
٩ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ١٨٧.
١٠ـ تاريخ النياحة على الإمام الشهيد عليه السلام٢: ٧.
١١ـ أمالي الشيخ الطوسي: ٣٢٩.
١٢ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ١٨١.
١٣ـ بحار الأنوار٨٦: ٨٩.
١٤ـ مقاتل الطالبين: ٣٩٥.
١٥ـ هذه الأبيات ناحت بها زر النائحة بعد أن رأت فيما يرى النائم أن السيد الزهراء عليه صلوات الله انها وقعت على قبر الحسين تبكي وأمرتها أن تنشدهن، انظر: مناقب آل أبي طالب٣: ٢٢٠.
١٦ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة٢: ٢٣٣.
١٧ـ قد تكلمنا عن تأسيس الدولة البويهية وانجازاتها في العدد ١٤٣ من مجلة النجف الأشرف تحت عنوان الممالك الشيعية المستقلة من حلب وحتى البصرة.

بحجة أن هذه الشعائر بدعة، وأنها تثير التفرقة بين المسلمين وأن الشيعة يسبون الصحابة، وقد جاءوا في بعض حملاتهم بجمل وأركبوا عليه امرأة ومعها من سمى نفسه طلحة وآخر الزبير، وقالوا: «نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب»[١٨]، وبعد أن تمسك الشيعة في شعائرهم صار غير الشيعة من البغادة، يقلدون شعائر الشيعة، فصاروا يحتفلون في يوم ٢٦ من ذي الحجة بدخول النبي صلوات الله عليه وآله الغار، وجعلوا يوم ١٨ من محرم الحرام يوم حزن وحداد على مقتل مصعب بن الزبير[١٩].

فتن مظلمة

بعد أن حكم البويهون وغيرهم من الشيعة ممالك مستقلة باسم الدولة العباسية عمت الفتن الشعواء، التي راح ضحية احده منها: سبعة عشر ألف محروقًا في النار غير المساجد والدور والدكاكين[٢٠]، ولا نريد الخوض في تفاصيلها جميعا لأنها ليست من موضعنا، فقط سنورد الفتن التي كان هدف مثيريها منع الشعائر الحسينية.

سنة ٣٥٣

أقامت الشيعة في بغداد شعائر الإمام الحسين صلوات الله عليه في يوم عاشوراء حتى الضحى، ثم هجم عليهم (العامة)، «فوقعت فتنة عظيمة بن السنّة والرافضة، وجرح جماعة ونهب الناس»[٢١].

سنة ٣٥٤

أقيمت في بغداد أيام عاشوراء الشعائر لكن ثارت الثائرة وهجموا على مسجد براثا كما يقول ابن كثير: «الذي هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة»[٢٢].

سنة ٣٦٢

لم تُقَمْ الشعائر في بغداد بسبب منع سبكتكين الحاجب حيث كان عز الدولة بختيار بن بويه بواسط[٢٣].

سنة ٣٦٣

قال ابن كثير: «في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير، وعاث العيارون في البلد فسادًا، ونهبت الأموال»[٢٤].

سنة ٣٦٦

أعلن الخليفة الفاطمي أبو منصور نزار العزيز بالله الشعائر الحسينة في الديار المصرية ودامت حتى زوال دولتهم، قال الأتابكي: «وفيها عمل

١٨ـ الكامل في التاريخ٨: ٦٣٢، وصراع الحريات في زمن الشيخ المفيد: ١٨.
١٩ـ الكامل في التاريخ٩: ١٥٥.
٢٠ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك١٤: ٢١٥.
٢١ـ تاريخ الإسلام٢٦: ١٣.
٢٢ـ البداية والنهاية١١: ٢٨٨.
٢٣ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة٤: ٦٥.
٢٤ـ البداية والنهاية١١: ٣١٢.

في الديار المصريـة المأتم في يوم عاشوراء علـى حسين بن علي رضـي الله عنهما وهـو أول مـا صنـع ذلك بديـار مصر فدامت هـذه السنة القبيحة سنين إلى أن انقرضت دولتهم»[٢٥].

سنة ٣٦٧

منـع عضد الدولـة إقامـة الشعائر، بـل وحتى تذكـير الناس بالمصائب أو المناقـب في الطرقات خوفـاً من وقوع الفتنة، قال ابن الجـوزي: «دخل عضد الدولة إلى بغـداد، وقد هلك أهلها قتلاً وحرقًـا وجوعًـا للفـتن التـي اتصلت فيهـا بـين الشيعـة والسنة، فقـال: آفة هؤلاء القصاص يغـرون بعضهم ببعض ويحرضونهـم علـى سفـك دمائهـم، وأخذ أموالهم، فنادى في البلد لا يقص أحـد في جامع ولا طريـق، ولا يتوسل متوسـل بأحد من أصحـاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومن أحب التوسل قـرأ القـرآن، فمـن خالـف فقـد أباح دمه»[٢٦].

سنة ٣٧٥

قامـت حرب بـين السنـة والشيعة حـول إقامـة الشعائـر وركبـت امرأة الجمل كما حدث في سنة ٣٦٣[٢٧].

سنة ٣٨٢

منعـت الشعائر بأمر مـن الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي[٢٨].

سنة ٣٨٩

فيهـا منـع سنـة بغـداد الشيعة من الاحتفـال بعيـد الغدير بحجـة أنه يوم حصار النبي صلـوات الله عليه وآله في الغـار، وأقامـوا المأتم علـى مصعب بن الزبـير، قال ابـن كثير: «فإن هـذا [أي المكـوث في الغـار] إنمـا كان في أوائل ربيـع الأول مـن أول سنـي الهجـرة، فإنهمـا أقاما فيه ثلاثا، وحين خرجا منه قصـدا المدينة فدخلاها بعـد ثمانية أيام أو نحوهـا، وكان دخولهمـا المدينة في اليوم الثاني عشـر من ربيع الأول، وهذا أمر معلوم مقرر محرر، ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتمًا يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة فادعوا أن في اليـوم الثاني عشـر من المحرم قتل مصعـب بن الزبير، فعملـوا له مأتما كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره كما زاروا قبر الحسين»[٢٩].

سنة ٣٩٣

فيهـا منـع عميـد الجيوش الوزير الحسـن بـن أبـي جعفـر أستـاذ هرمز الشعائر الحسينية وما يقام على مصعب بن الزبير[٣٠].

سنة ٤٠٦

وقعـت فتنة بين السنـة والشيعة في بغـداد بسبـب اقامة الشعائـر الحسينة، وكانـت يـوم الثلاثـاء غرة شهـر محرم الأحـزان، وكان سببهـا أن أهل الكرخ وكانوا شيعة مروا بباب الشعير فقاتلهم أهله وصل القتـال إلى القلائين، فأرسل الوزير فخر الملك السيد المرتضى طاب ثـراه فأمـر الشيعـة «أن لا يعلقـوا في عاشوراء مسوحا ولا يقيموا نوحا»[٣١].

سنة ٤٢١

قـال ابـن كثـير: «وفيهـا عملـت الرافضـة بدعتهم الشنعـاء، وحادثتهم الصلعـاء في يـوم عاشوراء، مـن تعليق المسـوح، وتغليـق الأسـواق، والنوح والبكاء في الأزقة، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل من الفريقين طوائـف كثيرة، وجرت بينهم فتن وشـرور مستطيرة»[٣٢]، وقد حاول السيد المرتضى رضـوان الله عليه إنزال علامات الحـداد المعلقة علـى الجدران لكن لم يـرد ما فعله السيـد غائلة أعداء الشعائـر فـإن الأمـر عندهـم أكبر من قماش اسود معلـق، وقد وضع من يمنع القتال بين الدقاقين والقلائين[٣٣].

سنة ٤٤١

جـاء الأمـر بمنـع الشعائـر لكـن الشيعـة لم يمتثلـوا فشنت حـرب كان نتيجتهـا «مـا زاد على الحد مـن القتل والجراحـات»[٣٤]، وقـد «بنـى أهـل الكـرخ سورًا على الكـرخ، وبنى أهل السنة سورًا على سوق القلائين»[٣٥].

٢٥ـ النجـوم الزاهـرة في ملوك مصـر والقاهرة ٤: ١٢٦.
٢٦ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٤: ٢٥٤.
٢٧ـ صراع الحرية في عصر المفيد: ٢٢.
٢٨ـ البداية والنهاية ١١: ٣٥٥.
٢٩ـ البداية والنهاية ١١: ٣٧٣.
٣٠ـ البداية والنهاية ١١: ٣٨١.
٣١ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٥: ١١١.
٣٢ـ البداية والنهاية ١٢: ٣٥.
٣٣ـ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ١٥: ٢٠٤.
٣٤ـ تاريخ الإسلام ٣٠: ٥.
٣٥ـ البداية والنهاية ١٢: ٧٤.

آلة الزمن

سنة ٤٤٢

قام القتال بسبب منع الشعائر وراحت ضحيته ناس كثر[٣٦].

سنة ٤٤٣

كانت هذه الفتنة في شهر صفر وهي أمتداد لفتنة سنة ٤٤١، حيث إن أهل الكرخ كتبوا بالذهب على ابراج صنعوها (محمد وعلي خير البشر) فادعى السنة أن المكتوب «محمد وعلي خير البشر فمن رضي فقد شكر ومن أبا فقد كفر وانكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين ونقيب العلويين وهو عدنان بن الرضي لكشف الحال وإنهائه فكتبا بتصديق قول الكرخيين فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال فلم يقبلوا وانتدب ابن المذهب القاضي والزهيري وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد [أن] يحمل العامة على الإغراق في الفتنة فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظا من رئيس الرؤساء لميله إلى الحنابلة ومنع هؤلاء السنية من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ، وكان نهر عيسى قد انفتح بثقه فعظم الأمر عليهم وانتدب جماعة منهم وقصدوا دجلة وحملوا الماء وجعلوه في الظروف وصبوا عليه ماء الورد ونادوا الماء للسبيل فأغروا بهم السنية»، وقد تنازل الشيعة ومحوا «خير البشر وكتبوا عليهما السلام فقالت السنية لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذي عليه محمد وعلي وأن لا يؤذن حي على خير العمل» لكن الشيعة لم يذعنوا فاستمر القتال حتى الثالث من ربيع الأول، وقتل رجل عباسي فطافوا بجثته في جميع محال السنة ودعوا الناس للثأر، وبعد دفنه هجموا على الضريح الكاظمي «ونهبوا ما في المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور وغير ذلك ونهبوا ما في الترب والدور وأدركهم الليل فعادوا، فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع الترب والأراج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي والجوار والقبتان الساج اللتان عليهما واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه معن الدولة وجلال الدولة من قبور الوزراء والرؤساء وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله، فلمّا كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه» وقد منعهم أبو تمام نقيب العباسيين ومن معه بعد أن سمعوا ما عزموا عليه، «وقصدوا أهل الكرخ إلى خان الفقهاء الحنفيين فنهبوه وقتلوا مدرس الحنفية أبا سعد السرخسي وأحرقوا الخان ودور الفقهاء وتعدت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق بج والأساكفة وغيرهم، ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه، واشتدّ وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر الله»[٣٧].

في العصر السلجوقي

دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧، وفي سنة ٤٤٨ عادت مظلومية الشيعة إلى العصر الأموي والعباسي الأول، حيث منعوا من الآذان بحي على خير العمل وصار في مساجدهم ينادى بالصلاة خير من النوم، وأزيل شعار محمد وعلي خير البشر، وصار مداحوا السنة يطوفون بالكرخ، ونهب بيت الشيخ الطوسي[٣٨] وأُحرق كرسي الدرس ومكتبته حتى هاجر رضوان الله عليه من بغداد[٣٩].

سنة ٥١٧

عاد المسترشد العباسي إلى بغداد منتصرًا على دبيس بن صدقة، فأعلن البغاددة من غير الشيعة الفرح والسرور، وكان دخوله بغداد يوم عاشوراء وكان الشيعة يقيمون شعائرهم، فغضب غيرهم عليهم وأغاروا على المشهد الكاظمي فنهبوه[٤٠].

نكتفي بهذا القدر، وسنكمل - إن شاء الله - فهرسة أهم حوادث منع الشعائر الحسينية من ما بعد الدولة السلجوقية وحتى الدولة البعثية.

٣٦- تاريخ النياحة على الإمام الشهيد عليه السلام٢: ١٩.

٣٧- الكامل في التاريخ٩: ٥٧٥.

٣٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك١٦: ٨.

٣٩- قد تكلمنا عن جرائم السلاجقة في مجلة النجف الأشرف عدد ١٣٨ و١٣٩.

٤٠- تاريخ النياحة على الإمام الشهيد عليه السلام٢: ١٩.

مظاهر منقرضة في الشعائر الحسينية

بقلم: عبد علي الساعدي

لا أريد التحدث عن الشعائر الحسينية في جنوب العراق، فهي ليست تراثًا، فهي حية وستبقى كذلك حتى ظهور صاحب الزمان روحي فداه، بل أريد ذكر بعض التصرفات التي صارت من الفلكلور، حيث ترك العمل فيها في زماننا هذا.

استقبال الخطيب

كان الخطيب الحسيني يسمى (روزخون) وهي كلمة فارسية تعني قارئ الروضة أي كتاب روضة الشهداء لملا حسين بن علي الواعظ الكاشفي المتوفي سنة ٩١٠، والضاد تقلب زايا باللسان الفارسي، و لم تكن الحسينيات فضلًا عن المساجد معروفة في عموم القرى وذلك لأن الفقر المادي هو الطابع العام بينهم، فكان الخطيب إن حل بقرية وأراد معرفة أيوجد فيها خطيب قبله، أو أيوجد من لديه مجلس ويريد خطيبًا له فإنه ينزل ضيفًا على بعض البيوت ويسألهم فإن أخبره صاحب البيت المُضيِّف بمراده وإلا رفع الآذان في وقت الصلاة فيذهب من يريد عقد المجلس له ويدعوه إلى داره ومجلسه، وطبعًا هذه الطريقة نادره وقد سمعتها من (المرحوم الحاج علي حسين علي خان) حيث كان يقيم المجالس الحسينية في مضيفه قبل أن تمنعه الحكومة البعثية في نهاية السبعينيات، وأما ما هو مشهور ومتعارف فإن من يعقد مجلسًا في داره يستعين ببعض معارفه من طلبة العلوم الدينية حتى يهيئ له خطيبًا، وبعضهم يقصد النجف الأشرف ويطلب خطيبًا من مرجع تقليده، وقد سمعت من بعض كبار السن في النجف الأشرف إنه سجن في زمن عبد الكريم قاسم أو في ما بعدها ـ والتردد مني حيث نسيت السنة بالتحديد ـ بتهمة الانتماء للحزب الشيوعي، وكان ذلك الوقت المرجع الأعلى هو السيد محسن الحكيم(رض)، يقول الرجل: كان سجنهم في ديالى، وقد حل شهر محرم الحرام فكتبوا للسيد الحكيم(رض) يطلبون خطيبًا فأرسل لهم السيد ما أرادوا، وقد عقد لهم المجلس في السجن، غير أن إدارة السجن لم تسمح للخطيب أن يبيت في السجن لذا نزل ـ الخطيب ـ ضيفًا في إحدى القرى القريبة، وقد استحى ـ والتعبير للرجل المُحدِث ـ أهل القرية من أن المساجين يحيون مجالس الإمام الحسين صلوات الله عليه وهم لا، فطلبوا منه أن يقيم لهم مجلسًا وقد فعل.

ما يوضع أمام الخطيب

عادة ما يوضع أمام الخطيب عند قراءة المقتل ـ أي قراءة مصيبة استشهاد الإمام الحسين صلوات الله عليه وآل بيته وصحبه ـ في صبيحة يوم عاشوراء إناء صغير فيه شيء من (السمن) أو (الزيت) ـ وبعضهم يضع ماء أو شيء آخر ـ وبعد إنتهاء المقتل يحتفظون به طيلة أيام السنة، وبعد أن مُنعت المجالس الحسينية صاروا يضعون الإناء عند جهاز التسجيل في صبيحة عاشوراء أثناء تشغيلهم للشريط فيه قراءة المقتل، وما أذكره في هذا المجال كان بعض أهل قريتنا إن مرض أحدهم ويسألون عن (السمن) ويأخذون منه ويدهنون مكان المرض.

ما سبب أن أهل المجالس كانوا يضعون وعاءً من السمن أو الماء أمام الخطيب؟

في القرى الصغيرة ـ وآخر مشهد في (الدايرة) هو مشهد ملائكة العذاب ـ الآن غير معمول فيه ـ وخلاصته أن ينزل لساحة المعركة أشخاص بثياب خاصة ويلبسون أجنحة ويحملون مشاعل النار ويطاردون من يتشبه بجيش الكافرين كناية عن عذابهم.

الدايرة

مما تعارف عليه الشيعة في الكثير من بلدانهم إقامة التمثيليات التي تجسد واقعة الطف، وتعرف الآن بالتشابيه والممثل يعرف بالشبيه، أما سابقًا فكانت تعرف باسم (الدايرة)، ولها ساحة خاصة في كل مدينة ـ حيث تقام قرب المدن، أو في القرى الكبيرة فقط، وذلك لأنها تحتاج عددًا كبيرًا من المشبهين (ممثلين) وهو لا يتوفر

المجالس النسوية

عادة ما تكون مجالس حسينية خاصة للنساء والخطيبة امرأة تسمى (ملاية)، لكن حدثني المرحوم كاظم حمُّود عن المجالس التي كانت تعقد في مضيف أبيه حمُّود العطية في قريتهم التابعة لقضاء الكحلاء في محافظة العمارة فترة السبعينيات وكان خطيبهم الشهيد الشيخ مزهر آل شياع، يقول كان الرجال يجلسون في داخل المضيف والنساء في (الكوصر) أي ظهر المضيف من الخارج، ويسمعن صوت الخطيب فقط من دون رؤيته.